إضاءة

الرجل ذو العينَيْن المموّهتَيْن، المنتصب وَسط الوحْل، يشقّ طريقه نَحْو النهر فيما الهواءُ لا يزالُ نسيمًا باردًا يتململُ عند الفجر. يَحفُنُ براحتَيه الصلصال الرَّطب، ويصفّه على شاكلة تلال صغيرة على شفا الحُفرة الطينيّة التي يتوسّطها واقفًا

علي شرّي

في مكانٍ ما، على ضفافِ نهرٍ عظيم، ينتصبُ رجلٌ وَسطَ الوحْل مستغلاً بسطَ ضخمٍ ليس بالإمكان تمييز قامته عَن الطين من بعيد. جسدُه الملطّخ به، البقع المتناثرة في وجهه كالنّمش؛ حتى البنّي الغامقُ في عينَيه مُتماهٍ معها، يميّزُهما فقط بريقٌ مُتوهّج مثل فُلوس تلمَع فوقَ ذَيْل سَمَكة. ربّما هو الرّجلُ الأوّل، الذي شكّلتهُ الآلهة بيدَيْها وَعلى هيئتها.

الإنكا، الماوري، البابليون، المصريون القدامى، الصينيون، الهندوس، اليوروبا، السومريون. إمبراطوريات قامت وَتداعت، بحار وَجبال ماجَت وَسنون انطوَت، والكلّ يَتناقل القصة نفسها: الإنسان وليدُ الطين.

حتى بروميثيوس الحكيم، صبّ البشر من ماءٍ وتراب، وَسَرق من جبال الأوليمب قبَسًا من النار مُسبغًا عليهم قوّتَها.

في عصورٍ مُتلاحقة، توحّدت الآلهةُ في إلهٍ واحد، التّقمَ الميثولوجيا التي صَدّقناها فيما مضى وَصبّها في قالبٍ آخر، لكنّه احتفظ بالقصّةِ الأساس: الإنسانُ وليدُ الطين.

شكّل الرّبّ الإنسانَ من تراب الأرض، وَنَفث زفيرَه في خياشيمه، فاضحت له روحٌ حيّة.

وَلقد خلقنا الإنسانَ من طين.

من الطين جُبلنا أوّل مرة. من الطين تناهى إلى اسماعِنا أنّنا صُنعنا. ثم نَسينا، أو تَناسَينا، لنتوّج أنفسَنا بعدَها صُنّاعًا.

عند الظهيرة، يتنقّل رجل الطين بين الأعشاب الطويلة، يتعقّب صَوت النهر من قبل أن يلمحَه بعَينَيْه الثاقبتين.

خَرير النهر بالنسبة له مجموعُ أصواتٍ تُنشد في حَفل.

تموّجات تعبّر وجهَ الماء الرّاكد، تصطفّ فوقَه كقواربَ حينًا وَتتدافعُ كقاذفات أحيانًا.

طنين اليَعاسيب وَالنّحل في دورانها الدّائخ، جَوْقاتُ الزّيزان الرّتيبة وَالخفافيس المائية. رفيف جوانح البعوض وَهو يغطّ على الجلد وَيحفر في المسامّ. ترقّبُ الطيور وَهي تَحطّ بصبر لِدقائقَ طويلة، وَمن ثَم تقتحمُ الماءَ لِتقتنصَ ما تحته.

أشجارُ النّخيل الشّاخصةُ وَهسيسُ العُشب تحتَ نباتِ البَردي.

همهمةُ الإبقار وَالحمير وَهي تلوّح بذيولها، تَجفّ بها الهواءَ كأنّها فَرَش، بَينما تمضغ النباتَ برتابة وَتؤدة.

رفرفة الملابس المُقدّدة على الحِبال، لأطفال يتصايحون وَأمّهات توصيهم بالابتعادِ عَن حافّة النهر، مسموعةً دومًا في مكانٍ ما. (سريانُ التماسيح المشؤوم وَهي تشقّ خلسةً مَهبط النهر).

صريرُ العَنَفات المائية الأصمُّ وَالهدير المؤعود لِمضخّة الريّ الحقليّة. الإيقاعُ الآلاتيُّ المجنون، الدائرُ بلا هوادةٍ حَول البقعة ذاتها. منظومةٌ صوتيةٌ لبيئة كاملة، تَعلو وَتخفت في وتيرة ارتجاليّة.

قد لا يوجدُ تناغمٌ بينها، إلا أنّها مُجتمعةً تمنحُ النهر صوتَه وَصداه.

لقد مورست حرفة صناعة الطوب منذ آلاف السنين. قوامُها الصلصال الذي تُبنى منه بيوتٌ مبرّدة طبيعيًا في فصل الصيف وَدافئة في فصل الشتاء، وَيرجع ذلك إلى التّكوين الخاص الذي يتكيّف بواسطته الطينُ مع الحرارة. يُصنعُ الطوب من خليط من العناصر الطبيعية الأربعة. من خلط التراب والماء، تنتج مادة لَيّنة مِطواع يتم تشكيلها يدويًا بِاستخدام أدواتٍ بدائية. ثم يجري بعدَها تجفيفُها في الهواء الطلق، حيث يتصلّب الطوب عندما يتبخر الماء عن سطحه.

وَيمجرّد أن يثبت شكله، يُخبز في فرن وَيُترك ليَحترق طيلة الليل. المواد النّهائية التي تنبعث بعد احتراقه تشكّل مادة صلبة وَمتينة بدرجة تكفي لإنشاء هياكل تحتفظ بكافة عناصرها الطبيعية.

يقال إن حفنةً من الطين تحوي «معلوماتٍ أكثرَ شموليّةً مما قد يَحويهِ أيّ عنصر قد يوجد فوقَ أسطح جميع الكواكب الأخرى. وَهكذا، فإنّ كلّ لبنة تَحوي جميعَ عناصر الحياة التي قام على أساسها عالَمُنا المعروف».

الرجل ذو العينَيْن المموّهتَيْن، المنتصب وَسط الوحْل، يشقّ طريقه نَحْو النهر فيما الهواءُ لا يزالُ نسيمًا باردًا يتململُ عند الفجر. يَحفُنُ براحتَيه الصلصال الرَّطب، ويصفّه على شاكلة تلال صغيرة على شفا الحُفرة الطينيّة التي يتوَسّطها واقفًا.

بجواره رجُلان يشقّان جحافل الطين بمعوَلَيْهما، بفككان تجمعاتها وَيخلطانها مع الروث لإبقائها رَطبة.

وَآخر يَدلّق حفنةً ضخمة من الطين المقوّى بالرّوث في قوالبَ خشبيّة، يمسح حَوافّها إلى أن يستوي الطّينُ مع سطحها. ثمّ يأخذ القوالبَ وَيُفرغ منها الطوب اللّبِنَ في الحقل الرمليّ حتى يجفّ.

مع بزوغ الشمس، يتكشّف اللونُ البنّي بكافة تدرُّجاتِه على سحنة الطوب المصفوف، من الوحليّ الغنيّ الذي سبقَ عملية الصّب، حتى الأحمر الصّلصاليّ المتناغم والعميق قبل التّجفيف بقليل.

مصابيح ضخمة متوهجة تُنير القمين الذي يعمل الرجال داخله. ضوءها الأزرق يُغرق المكان بظلال عميقة أشبه بالحلم. تبدو تحركات الرّجال رقيقة، شبه عائمة. أثر النعاس يتبدّى واضحا في الإيقاع المتباطئ لأجسامهم.

من بعيد، صوت المولّد المتقطع يمدّ الأضواء بالشّعاع، هديره المختلط داخل الأرض يُقلق نوم الديدان والمخلوقات الخبيئة. أسرابٌ من البعوض تدور حول المصابيح حتى تَكاد تَحجب أنوارَها.

(ترجمة عن الإنكليزية: مريم جنجلو)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

ها نحن حتى اليوم، ننقّب في الطين عن آثار غابرة

من على مقرُبَة، يُسمَعُ إيقاعٌ سَخِف الطين بشكلٍ أوضح

«حبكة لقيامة محتملة»، علي شرّي، عمل تركيبي، 2018

يبدو لنفسه ميّتاً في الحلم

في لغة الطين

الترجمة والكتابة و تبادل الأدوار

تعاونت الشاعرة اللبنانية مريم جنجلو (الصورة)، مع الفنان علي شرّي ودار دنقلة في كتابة النص العربي الاساسي المصوّل لـ«كتاب الطين» الخاص بالفنان، حيث تضافرت كتابة شرّي وترجمة جنجلو وتبادلا الادوار. كما جمعهما مؤخرا تعاونٌ فني مع التشكيلي عبد القادري في معرضه «رفات آخر وردة حمراء على وجه الارض»، حيث عرضت مجموعة من نصوصها باللغتين العربية والانكليزية، جنبًا إلى جنب مع الاعمال الفنية.

قصائد

قلعة رمل بناها طفلٌ على الشاطئ

مئة حياة وهذه واحدةٌ فقط

أولغا أولتشينكو

صلاةُ الطفل

في الطفولة، يرتَبطُ بالله القلبُ الصغيرُ وليس العقل
تجثو تحتَ الأغطيةِ حتى لا يُلاحظَ أحدُ وتهمس
يا ربّ لا تدعْ أبي يشرب اليومَ ولا أريدُه أنْ يتشاجرَ مع أمي
الليالي مقمرةٌ ورائحةُ العشبِ المحترقِ تدخلُ من النافذة
يحرقُ الناسُ العشبَ الصيفيَ القديمَ للحفاظِ على نظافةِ ساحاتِهم بعدَ الشتاء
الطفلُ يجلسُ منتظراً، قربَ عيادةِ طبيبِ الأسنانْ
هل سيُؤلمُني ضرسي؟
هل سيكونُ التخديرُ كافياً حتى لا أشعرَ بالألم
أم أنّني سأضطر لأعضّ ملابسي
يقطرُ العرقُ من يدي، لكنّ فاتَ الأوانُ على المغادرة
يُسمعُ الصراخُ من الشارع، أعلى من صوتِ أجهزةِ حفرِ الأسنان
احدهُم ثُمِلَ مرةً أخرى
زجاجُ النافذةِ ينكسرُ مع القلب
وطوبةٌ أخرى تَطيرُ في ذاكرةِ الطفلِ مع ورقةٍ صفراءَ خريفيةٍ ملتصقةٍ بها
شكراً لله على الرحيل
يلمّعُ الطبيبُ حشوةَ السن
ويبدأُ المخدّرُ بالانحسار، ثم يعودُ الألم
بعدَ يومين، يختفي كلُّ شيء
الإبرُ الثملُ والغاضبُ
الضرسُ القديمُ هو نفسُه
لكنّه لا يؤلمُ بعد الآن.

أنا رمل

أتسرّبُ من بينِ أصابعِكَ فأنهارُ لأعودَ للرمل
يُمكنُكَ أنْ تبنيَ قلعةً مني الآن، لكنّ الموجةَ الأولى ستدمّرُها
ساكونُ أقوى عندَما أختلطُ بالماءِ المالحِ الأزرق
حبيبي، ضعْ قبّعتكَ وإلّا ستؤذيكَ الشمسُ
يزُمُّ الطفلُ شفتيه ويعقدُ جبينَه لكنْ دونَ تجاعيد
تستيقظُ الأسئلةُ في رأسه
فالطاعةُ العمياءُ لكبارِ السنّ تتولّى زمامَ الأمور
وفي رأسِه لا تتحركُ عقاربُ الساعةِ ولو خمسَ ثوان
فالطفلُ وَضعَ القبعةَ على رأسه
يقتربُ المساءُ وتبدأُ الريحُ تهُبُّ من البحر
وفي مكانٍ ما على بعدِ عشرةِ ستيمتراتٍ حيثُ أطرافُ الموجةِ الأخيرة
يَتجسّدُ خيالُ الأطفالِ فيصيرُ واقعاً
ليس الطفلُ وَحدَهُ من يستطيعُ رؤيةَ قلعةٍ من مكعباتِ الرملِ على الشاطئ
أنا أستطيعُ ذلك أيضا
وعلى يساري يقعُ يومٌ غدٍ وما بعدَه
سأركضُ في الصباحِ ساتناولُ الخضارَ غيرَ اللذيذة
سأبتسمُ للناسِ بغضِ النظرِ عمّا يَحدث
أنظرُ إلى الجهةِ اليمنى
هنالك لوحةٌ بالتاكيد
منزلي وحصنُ أحلامي ووعودي الكثيرةُ بألّا أقولَ أكثرَ مما أسأل
هنا إلى جانبِ البرج
لديّ خطةٌ أيضاً لتحسينِ طريقتي بالحديث
قبلَ أنْ تتركَ الكلماتُ حصنَها الآمنَ في رأسي نحوَ هذا الفضاءِ المالح
الأفكارُ في دماغي إنْ قُدّرَ لها أنْ تكونَ فيلماً فسيكونُ عن قصةِ انتحارٍ بطيء
أنا رمل
لديّ مئةُ حياةٍ وهذه واحدةٌ فقط
أنا سجينةٌ في حياةٍ تتسرّبُ من بينِ أصابعي
أنا قلعةُ رملٍ بناها طفلٌ على الشاطئ
تُغيّرُ الأمواجُ شكلَها أو تُحوّلُها إلى رملٍ فقط.

هل تستطيعُ سماعَ الصوت؟

الرجلُ العاديُ
يتكوّنُ من الماءِ والكالسيوم في مئةٍ وخمسةٍ وسبعينَ سنتيمترا
يغفو على موسيقى البلوزِ المزاجية
ويستيقظُ على أفظعِ صوتٍ في العالم، الصمت
كلُّ شيءٍ هادئٌ جداً في منزلِه
لدرجةِ أنّ التنفّسَ البطيءَ ينتقلُ من غرفةٍ إلى أخرى بسرعةِ الضّوء
ويتجنّبُ كلَّ عقبةٍ ويخترقُ الجدران
تُبرّرُ عيشتُك في غرفتِكَ الفقيرةِ بحبّكَ للبساطة
عالَمُك عبارةٌ عن أريكةٍ صغيرةٍ زرقاءَ قابلةٍ للطي
وستائرَ مُغلقةٍ بإحكامٍ تركَها صاحبُ شقّتِكَ المستأجرة
وسجائرُ على طاولةِ القهوةِ الصغيرة
لا يجلبُ لك عملُكَ الكثيرَ من الفرح
لدرجةِ أنّك عندما تغسلُ يداقتك لتستخدمَها غدا
تستطيعُ أنْ تفكّرَ في حياةٍ موازيةٍ تتخيلُها في رأسِكَ تكفي لكتابةِ عشرةِ مجلدات
أنت غيرُ سعيدٍ لدرجةِ أنك تحلمُ بيومٍ آخر، يقعُ في قاعِ الزمن
لكنْ ما هي سعادتك؟
تنامُ ثلاثةُ أرباعِ اليوم؟ الجانبِ المشرقِ من اليوم
أم تذكرةَ اليانصيب؟
نعم ستسمحُ لك خمسونَ روبلاً بفعلِ لا شيء
أنت تعيشُ أحياناً فقط، لا دائما
يدكَ تحترقُ بنيرانِ القداحة
والعلاقاتِ والنكاتِ الغبيةِ والحليبِ البارد
والماءِ والكالسيوم
كل ذلك يُوصلُكَ إلى القاع وربما لا.

(شاعرة ومستعربة روسية، وقد ترجمت بنفسها القصائد إلى العربية. حرّر الترجمة بشار النعيمي)

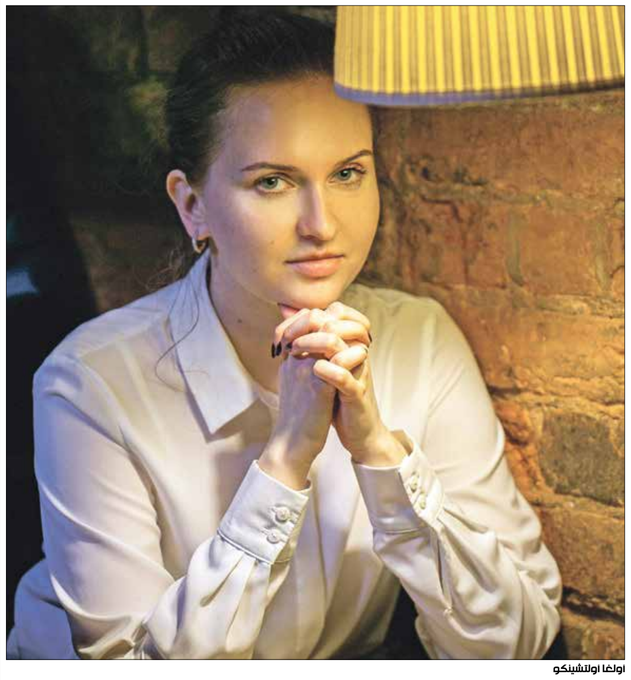

أولغا أولتشينكو

إطلالة

حين تغيّر معنى اللقاء

صورة الغرب

من كتب الرحلة في منتصف القرن التاسع عشر إلى الروايات العربية خلال القرن العشرين، انقلبت صورة الغرب من المثال المقتدى به إلى موضوع نقد حاد

ممدوح عزام

ربما كانت المصادفة هي التي جعلت من «الرحلة» الشكل الأول الذي عبّر فيه الإنسان العربي عن لقائه الأول بالحضارة الغربية، وقد تجسّدت تلك الرحلة في شخص مثقف كبير متنوّر اسمه رفاعة الطهطاوي، الذي صاحب أول دفعة من المبعوثين المصريين للدراسة في فرنسا.

بدت فرنسا في عيني الطهطاوي نموذجاً متقدّماً ينبغي للمصريين السير على نهجه، وخاصة في مجال الصناعة، أو العلوم البرّانية كما سمّاها، ودافع عن وجهة نظره في كتابه الشهير « تخليص الإبريز في تلخيص باريز» ولعل استعارة الإبريز وهو الذهب الخالص، أن تكون ذات دلالة عميقة على الموقف الفكري لرفاعة الطهطاوي من البلد الذي كان يشهد نهضة مجتمعية شاملة في كافة نواحي الحياة. وهو دفاع يتضمّن شرحاً من وجهة نظره لهذا المجتمع، الذي يتمنّى في أعماقه أن تستطيع بلاده اتباعه في هذا النهج. يخلو كتاب الطهطاوي من الكراهية أو الحسد أو الحقد أو تشويه الحقائق التي رآها. ويدعو بحب إلى التعرّف على الحضارة الغربية المتمثلة بفرنسا في ذلك العصر.

وحين وصل طه حسين بعد الطهطاوي بعقود، لم يكن قد تغيّر الكثير في مصر، أو في العالم العربي، وبدا أن هذا العالم قد وضع كتاب «التخليص» على الرف، وتغاضى تماماً عن الدعوات التي تضمّنها، ولم يلتفت بعد ذلك إلى طه حسين أيضاً في كتابه «الأيام»، واقتصرت الإشادة بهذا الكتاب الرائد على قطاع الثقافة. واللافت أن طه حسين لم يعلن العداء للغرب أيضاً، وإذا كان أول من شيّد علاقة العربي بالغربي من خلال الحب، أي من خلال تعرّفه إلى سوزان التي صارت زوجته، فقد كان يرى أن ذلك هو الشكل الإنساني العميق للعلاقة التي

حسمت رواية الطيب صالح صورة الغرب كعالم لا يمكن أن نلتقي به

يجب أن تكون فعالة بين العالمين. هكذا بدت الرحلة إلى الغرب بوصفها مسعى للتغيير، وهكذا بدت صورة الغرب بوصفه نموذجاً ومثالاً يتحقق الانتقال من حالة التخلف من خلال السير على خطاه.

غير أن موقف الروائي العربي قد تبدّل تماماً في العقود التالية من القرن العشرين. تغيّر معنى اللقاء. والطريف في الأمر أن الروائي العربي الذي أتقن صنعة الرواية على النموذج الغربي، قد استخدم هذه التقنية الرفيعة للتنديد بهذا الغرب. ولعل «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، وهي الرواية التي حسمت صورة الغرب كعالم لا يمكن أن نلتقي به، أن تكون مثالاً ناصعاً على هذا الموقف الجديد.

وقد نجم هذا التبدّل عن أمرين: الأول هو سياسة الاستعمار التي دمّرت صورة القيم الكبرى التي أرستها الحضارة الغربية في الحياة الاجتماعية والسياسية، والثاني هو ظهور حركات التحرّر وما صاحبها من الوعي الوطني والقومي.

وربما كان الانزلاق في هذه المواقف قد ذهب، دون أن يقصد الروائي العربي، في اتجاه رفض العالم الغربي لا نقده. فمن غير المعروف بعد أثر الرواية العربية في الوعي العربي، ولم يدرس بعد فيما إذا كان الموقف الروائي المستجد بخصوص العلاقة مع الغرب قد ترك تأثيراً سلبياً في وعي العرب تجاه هذه العلاقة.

(روائي من سورية)

«حبكة لقيامة محتملة»، علي شرّي

فعاليات

تريفيوم عنوان معرض ثلاثي ينطلق غداً في «غاليري يُسر بن عمّار» في تونس العاصمة، ويضم اعمال كل من: **محمد امين حمودة**، و**نجاح زربوط**، و**اسامة الطرودي**. كان من المبرمج ان يقام مع الانطلاق نقاش مع الفنانين الثلاثة، لكن جرى تأجيله إلى 21 من الشهر الجاري بسبب قرار حظر التجوّل المسائي في تونس.

في 12 من الشهر الجاري، ينطلق **معرض مونتريال الدولي للكتاب** ويتواصل حتى 15 منه. تحمل الدورة الحالية شعار «مفتوحون على العالم»، وتُقام معظم فعالياته بشكل افتراضي؛ حيث اشار المنظمون في تقديمهم للمعرض انه جرى الحرص على الابقاء على نفس البرنامج والضيوف على الرغم من استحالة حضور الكتّاب من خارج كندا، في ثاني تجربة لمعرض كتاب دولي افتراضي بعد «فرانكفورت».

في «غاليري تام» بالقاهرة، يتواصل حتى نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري معرض بعنوان **حرّاس الطبيعة** للتشكيلي المصري **محمد ربيع**. يعيد الفنان تركيب مفردات للهوية البصرية للجنوب المصري برموزه التراثية وطقوسه الجماعية مثل حفلات الزفاف والاعياد الدينية المتوارثة وانشطة الترفيه.

انطلقت امس الخميس دورة تدريبية عبر تطبيق زووم بعنوان **مدخل إلى اللغة الهيروغليفية** ينظّمها «متحف اللوفر» الباريسي في إطار برمجته في فترة الحجر الصحّي الشامل الذي تعرفه فرنسا إلى نهاية الشهر الجاري. تقدّم الندوة مديرة البرامج في الجناح المصري من اللوفر، **ماريلين سيلييه**.